العدد 8 لسنة 2023
No. 8 – Feb. 2023
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
P-ISSN 2710-0952 E- ISSN 2790-1254

السيدة خديجة (عليها السلام) في رؤية المستشرقين

أ .م. د : زهير يوسف عليوي الحيدري
جامعة القادسية - كلية التربية
07819359416

الباحث : سعود عطشان جبر
جامعة القادسية - كلية التربية
07810128935

swdt097@gmail.com

الخلاصة :

تعد السيدة خديجة (عليها السلام) واحدة من النساء القلائل التي كان لها دور في الحياة الاقتصادية والتجارية في مكة قبل الإسلام ، فقد عرفت بأنها امرأة حازمة وشريفة ولبيبة ، كما كان يطلق عليها لقب " الطاهرة " و "سيدة نساء قريش "وهي الزوجة الأولى للرسول محمد (ص) ولم يتزوج بامرأة ثانية إلا بعد وفاتها ،لذلك اخذت اقلام المستشرقين الكتابة عن هذا الزواج واسباب اقترانها بالرسول ، اذ يرى بعض المسترقين أن دوافع الزواج مادية واقتصادية في وقت هناك رأي اخر يرى أن الرغب والأعجاب من قبل السيدة خديجة هو سبب الزواج، والواضح انها كانت على دراية بالأخبار المتعلقة بالرسول الخاتم ، فقد كانت له(ص) السكن والسند الحقيقي لما لاقاه من متاعب في سبيل الدعوة الإسلامية.

الكلمات المفتاحية :الرسول ، السيدة خديجة ، المستشرقين ، رؤية ،الزواج .

Lady Khadija (peace be upon her) in the vision of orientalists

Saud Atshan Jabr Dr: Zuhair Yousef Aliwi

Conclusion:

Lady Khadija (peace be upon her) is one of the few women who had a role in the economic and commercial life in Mecca before Islam. The first was for the Messenger Muhammad (peace be upon him) and he did not marry a second woman until after her death. That is why orientalists wrote about this marriage and the reasons for her association with the Messenger. Marriage, and it is clear that she was familiar with the news related to the Final Messenger, as she (ص) had the real home and support for the troubles he faced in the cause of the Islamic call.

Key words:The Messenger, Mrs. Khadija, Orientalists,a vision,marriage.

المقدمة

كانت رؤية المستشرقين في زواج الرسول (ص) من السيدة خديجة ، فيها الكثير من الشبهات والاتهامات الباطلة التي تعكس روح الحقد والعداء للدين الإسلامي بشكل عام والرسول بشكل خاص، وقصور في قراءة الأحداث التاريخية من منظور أيماني ،فقد صور بعض المستشرقين أن هدف الزواج الحصول على الثروة والمال والوصول إلى الطبقة التجارية المتحكمة في مكة ، في أشاره إلى أن النبي بزواجه من السيدة خديجة اصبح من اصحاب الثروة والسيادة ،والبعض الأخر من المستشرقين يصور الزواج بنوع من الهيام والرغبة التي كانت عليها السيدة خديجة وطلبها الزواج من الرسول ،متجاهلين المكانة الاجتماعية العليا والزعامة التي كان يتمتع بها بني هاشم في مكة ،وكذلك مكانة السيدة خديجة في قريش ووصفها بالطاهرة ، فقد نتج من هذا الزواج ان ولدت للنبي (ص) جمع أولادة ماعدا إبراهيم من السيدة مارية القبطية ، وحظيت السيدة خديجة بمكانة كبيرة عند الرسول (ص) حتى بعد وفاتها ، إذ لم تستطع جميع النسوة الاتي تزوجهن من تعويض مكانة خديجة .

- السيدة خديجة (عليها السلام)في رؤية المستشرقين.

من اجل ايضاح الصورة لابد من معرفة من هي السيدة خديجة (عليها السلام) فهي خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى بن قصي ، كانت أوسط قريش نسباً وحسباً ومن أعظمهم شرفاً، وهي امرأة حازمة ،شريفة وجلدة، وزادت من الله عزة وكرامة بزواجها من النبي (ص) كما عرفت بأنها تاجرة كثيرة المال[1]،وأمها فاطمة بنت زائدة بم الأصم بن هرم وترجع إلى عامر بن لؤي .[2] كانت تلقب قبل الاسلام بالطاهرة ، وتزوجت قبل رسول الله (ص) برجلين[3] عتيق بن عبدالله المخزومي، فولدت له هند ، والأخر مالك بن النباش بن زرارة أبو هالة ولدت له هلة وهند ، الثلاثة هند بن عتيق وهند وهالة أبناء ابا هالة أخوة أبناء رسول الله (ص)من خديجة[4]،

كانت السيدة خديجة (عليها السلام) امرأة حازمة شريفة لبيبة ، معروفة بطهارتها وكثرة مالها تستأجر الرجال في الاشراف على تجارتها مقابل الحصول على جزء من الارباح من خلال المضاربة فيها ،فلما بلغها عن الرسول (ص) صدق حديثه وعظم أمانته وسمو أخلاقه ، عرضت عليه المتاجرة بأموالها وأن تعطيه أفضل ما تعطي غيره ، قبل الرسول العرض يرافقه ميسرة غلام خديجة، الذي نقل بدورة ما شاهده في الرحلة إلى الشام من اخلاق وسمات كان الرسول ينفرد بها دون غيره. والذي زوج السيدة خديجة من رسول الله (ص) عمها عمرو بن أسد ،وعمرها اربعون سنة ، وكان عمر رسول الله حينها خمسة وعشرون سنة ، [5]،وكانت أول زوجة لرسول الله (ص) ولم يتزوج عليها حتى ماتت (عليها السلام) ، ولدت جميع ولد رسول الله(ص) إلا إبراهيم من السيدة مارية القبطية ،وأولادها من رسول الله : القاسم وبه كان يكنى (ص) والطاهر[6] ، والطيب، وزينب ورقية وام كلثوم والسيدة فاطمة (عليهم جميعاً سلام الله)[7].

وكان سبب زواجها من الرسول (ص) ما نقله لها غلامها ميسرة في سفرتهم إلى الشام، ونقل حديث الراهب معه الذي سئل عن الرسول ؟ ومن يكون! وقوله لميسرة: **"فانه نبي. والله ما جلس هذا المجلس بعد عيسى بن مريم أحد غيره"**، فأصبحت السيدة خديجة (عليها السلام) على قناعة تامة بأن طلبت من الرسول الكريم أن يخطبها قالت : **"أخطبني إلى عمي عمرو بن أسد "**.[8]وبعد اتصال خديجة بأبن عمها ورقة بن نوفل ، اصبحت فكرة الزواج بالرسول اكثر جاذبية واشراقاً، ولم تكن الجاذبية هدف السيدة خديجة في الزواج وإن كان النبي (ص) احسن الناس خلقاً ،ولا الثروة والأموال، فلم يكن (ص) صاحب ثروة إنما صاحب سمات خلقية عالية ، وروحانية شفافة ظاهرة ،وسمو كريم [9].

توفيت السيدة خديجة(عليها السلام) قبل الهجرة بثلاث اعوام ، وهو نفس العام الذي توفي فيه عم الرسول (ص) أبو طالب (رضوان الله عليه) ، وكانت وزير صدق على الاسلام ، وكانت السكن والوطن الذي يستقر فيه رسول الله بعد كل المتاعب والألم التي يلقاها في سبيل الدعوة للدين الاسلامي.[10]

-اسباب الزواج من خلال رؤية المستشرقين

اهتم المستشرقون بزواج الرسول (ص) من السيدة خديجة وخرجوا برؤية واستنتاجات حول هذا الزواج وكانت تلك الاستنتاجات في الكثير منها باطلة.

فقد زعم بعض المستشرقين أن الغاية من الزواج بخديجة ،هو الحصول على المال والثروة ، حيث يقول المستشرق إيرفينج : **"بزواجه من خديجة صار محمد من أغنياء المدينة ، وزاد نفوذه الاجتماعي بسبب أخلاقه الحميدة بين الناس "**[11].

وذكر المستشرق ديورانت قال: **"وكانت حياة النبي فيما عدا النساء والسلطان غاية في البساطة"**[12].

" ثم نراه في الخامسة والعشرين من عمره وقد تزوج فجأة بهذه السيدة وهي وقتئذ في الأربعين من عمرها وأم لعدة أبناء. ولم يتزوج غيرها حتى توفيت بعد ذلك بستة وعشرين عاماً، ولم يكن الاقتصار على زوجة واحدة أمراً مألوفاً عند أغنياء العرب في ذلك الوقت، ولكن لعله كان طبيعياً في حالتهما"[13].

اما المستشرق مونتجمري وات فقد اشار أن الزواج من خديجة كان مخطط له مسبقاً ، وما أن توفرت الفرصة سارع الرسول (ص) إلى الزواج من خديجة الثرية التي بدورها سوف تجعله في الطبقة التجارية والمعروفة بسلطتها في مكة فقال : **" كيف يمكن ليتم فقير موهوب في عالم كهذا ،ملئ برجال الأعمال المفتقدين للوازع الخلقي أن يشق طرقه؟ لقد كان هناك احتمال واحد هو العثور على امرأة غنية تتزوجه ،والدخول في شراكة تجارية معها، وبالفعل تم له ذلك ، فقد تزوج من خديجة ، المرأة التي كانت تتمتع بالملكية ، والاستقلالية ، ولم يكن هناك من فائدة ترتجى غير هذا"[14].**

ذكر المستشرق وات قال **: " حملت إليه خديجة ثروتها ونفوذها اللذين فتحا أمام محمد ابواب السياسة المكية "[15].**

اما المستشرق ماسيه[16] يبين النفوذ الذي كانت تتمتع به السيدة خديجة في حياتها قال: **"وطول حياة خديجة فأن محمداً لم يتخذ زوجة اخرى : وهذا برهان على النفوذ الذي كانت تمارسه عليه ".[17]**

وهناك رؤية ثانية عند فريق اخر من المستشرقين حيث يرون أن الزواج نتج من رغبة السيدة خديجة(عليها السلام) التي أعجبت بصفات النبي محمد(ص) ودماثة خلقه .وتتضح هذه الرؤية عندما صرح المستشرقون في موجز دائرة المعارف الاسلامية عن زواج السيدة خديجة (عليها السلام): **"وقد كشفت خديجة في وكيل تجارتها الشاب ، ما يتصف به من محامد ، فعرضت عليه الزواج ،ولم يكن أبوها على قيد الحياة ، في حين تقول روايات أخرى أنه كان على قيد الحياة ، وانه عارض هذا الزواج، ولم تستطع حمله على القبول ، إلا بعد أ، أسكرته ، وهذا دافع مقبول في الروايات ، 000 عرف عنها علو المكانة في المجتمع "[18].**

وبصورة العشق والهيام صور بعض المستشرقين السيدة خديجة وهي تنظر إلى النبي محمد (ص) ، من خلال سردهم للروايات وأحداث الزواج ، فقد صور المستشرق إيرفينج ذلك : **"فبدأ قلبها يميل إلى هذا الشاب المكتمل، لكن التقاليد –السير – العربية أبت إلا أن تضيف معجزة لتأكيد أصول وقواعد لقياهم الطبيعية ، فقالت أنها عندما كانت وخادمتها على سطح منزلها ترقب قدوم القافلة وقت الظهيرة ، شاهدت ملكين يحفان بمحمد (ص) ويجللانه بجناحيهما ليحمياه من الشمس المحرقة ، فالتفتت إلى خادمتها قائلة ، أنظري إلى حبي الله كيف تحميه الملائكة "[19].**

كما ان المستشرق كونستانس بالغ بالوصف وجزئيات الاحداث فصور ذلك بقوله : **"عندما عاد محمد (ص) من سفرته الثانية ، وأرادت السيدة خديجة ان تفع له أمعنت النظر فيه ، فرأته فتى وسيماً مهيباً، ذا عينين سوداوان وشعر أسود. كانت عيناه واسعتين نجلاوين صافيتين ، وشعر رأسه طويلاً، يمتد حتى كتفيه ، يفرقه في وسط رأسه ، كعادت العرب ، وكان كثير التبسم أثناء حديثه ، فتبرز اسنانه الناصعة 0000هذه التقاطيع تجذب المرء إلى الاستمرار بمحادثته "[20].**

ويضيف المستشرق بودلي تصرفات السيدة خديجة بعد أن جعلت النبي (ص) يعمل بتجارتها، واصبح بعد فترة المسؤول الأول عن الأمور التجارية الخاصة بها بشكل كامل فيقول : **"اصبحت مشغوفة بمقابلة محمد والإنصات اليه ،وإذا ما خرج في قافلة راحت تعد الأيام وتنتظر أوبة قافلتها ، أخذت تنتظر بشغف عودة محمد ، بعد أن يغتسل ويرتدي ملابسه البيضاء ، ويجل شعره الجميل، ويدهن ويقبل عليها ،ليدلي إليها بأخباره000وأخذت تزداد شغفاً بمديرها الشاب الممتلئ حيوية وسحر، 000 أحست خديجة لأول مرة في حياتها أنها أسيرة الحب والهيام . ولكن كيف تترجم عن مشاعرها الفوارة لمن حرك عواطفها النائمة؟"[21]**

أن اختيار السيدة خديجة (ص)للرسول (ص) زوجاً لها لم يكن كما يدعي المستشرقون كان نتيجة الشغف والحب والاعجاب به لكونه شاباً قويا جميل المحيا ، فلو كان كذلك فإن قريش الظواهر والأباطح عجت ان ذاك بالشباب الذين يتملكون تلك الصفات ويتمتعون بذات الصفات ، وهم ينتمون إلى بطون معروفة من قريش مثل بني مخزوم وعبد الدار وبني أسد وبنو زهرة ولا يقلون عن بني هاشم في تلك الفترة مكانة وافتخار، فلماذا لم تختر السيدة خديجة من أولئك واحداً اذا كان القصد هو التمتع بالفحولة والفتوة وطلاقة المحيا ،ومنهم من كان أكثر مالاً من الصادق الأمين الفقير اليتيم.[22]

واضاف بودلي في خبر خطبتها وزواجها من الرسول (ص) قال : **"فأمام عناد عمها استعملت دهاء المرأة 000 وتخيرت خديجة أنسب الأوقات للحديث ، فقالت أن محمد من عملها هو الراس والعقل المدبر ، وما هذا الثراء إلا بسببه، ونعتته بالأمانة وذكرت شرف أسرته ، وكريم منبته000وصبت الخمور في الكؤوس مرات ومرات، وقبل أن يدري عمر بن اسد ما يبغي القوم ، اندفع هو الآخر في خطبته ، فآزر الخطة ، فنهض محمد ولف الشيخ في برده، وكان هذا ما يفعله الابن بوالده ليلة الزفاف، 000وصار زواج محمد من خديجة أمراً واقعياً"**[23].

ومن ثمّ يتبين لنا تفاهة ما روي أن أباها أو عمها امتنع من تزويجها، وأنهم سقوه الخمر حتى ثمل فرضي، وأنهم ألبسوه المزعفر، فلما صحا من سكره أخبروه فأنكر عليهم ذلك، فما زالت به خديجة حتى رضي، وهي رواية باطلة ومخالفة لسيرة الرسول (ص) المعروف بالصادق ، وكذلك بالسيدة خديجة المعروفة بالطاهرة ، و هي مخالفة للواقع، وللظروف، والبيئة، فبنو هاشم هم الذروة من قريش نسباً وشرفاً، وقد صدع بها أبو طالب في مجمع حافل بالسادات فما نازعه فيها منازع، ثم إن مثل النبي في شبابه الغض، ورجولته النادرة، وخلقه الكامل ممّن تطّاول إلى مصاهرته أعناق الأشراف، وهذا أبو سفيان بن حرب وهو من هو في عداوته للنبي وبني هاشم، لما بلغه أن النبي تزوج السيدة أم حبيبة ابنته، ولم يكن أسلم بعد قال: (هذا الفحل لا يقدع[24] أنفه)[25].
كان هذا الزواج سبباً في أثراء النبي(ص) ، لكنه لم يفقد توازنه ، ولقد احب طول حياته المرأة التي كانت سبب ثرائه ، وبقدر ما عاشت معه قاوم قانون بلاده الذي كان يبيح له الزواج بأكثر من واحدة فإن الرخاء لم يغير قلبه.[26]

عرفت السيدة خديجة(عليها السلام) قبل الاسلام بالطاهرة، كما اطلق على أبناء محمد بن صيفي بن أمية[27] (بنو الطاهرة) ، لكونه ابن هند بنت السيدة خديجة من زوجها السابق عتيق[28]،كما عرفت بسيدة نساء قريش (سيدة قريش)[29]،فقد اشار العباس بن عبد المطلب عم النبي (ص) الى عفيف اخ الاشعث بن قيس عندما دخل الكعب وشاهد النبي (ص) وهو يصلي مع الامام علي(ص) والسيدة خديجة (ص)خلفه في الكعبة فكان جواب العباس عن المرأة أذ قال :**"هذه خديجة بنت خويلد بن أسد بن عبد العزى سيدة نساء قريش زوج ابن اخي، وهذا علي بن ابي طالب ابن أخي زعم ابن أخي هذا أن ربه رب السماوات والأرض أمره بهذا الدين والله ما أعرف احدا على وجه الأرض على هذا لدين غير هؤلاء الثلاثة ".**[30]

من المؤكد أن السيدة خديجة وما وصفت به، بأنها الطاهرة قبل وبعد الاسلام ، وسيد نساء قريش لم يأتي من فراغ ،أنما جاء لطهارتها وعفتها القلبية المتمثلة بالعقيدة التي كانت تحملها وهي الوحدانية ونبذ عبادة الأوثان المنتشرة في المجتمع المكي التي تعيش فيه، فما كان قبل المبعث النبوي من إرهاصات وأنباء عن نبي جديد سوف يبعث ، فكان الوضع أنداك ينبأ بحول جديد قادم، كما أن خبار الرهبان والاحبار المنتشرة قد وصلت إلى الجزيرة العربية ، من خلال المسيحية في نجران والحيرة وتخوم الحبشة ، واليهودية وتواجدها في يثرب وشمال الحجاز، والصابئة في سبأ ، والمجوسية في المناذرة وتلاقت هذه الاديان الوافدة مع الوثنية العربية مع ما بقي من الحنفية فجميع هذه الامور الدينية لم تغب عن السيدة خديجة.[31]

أن صفوة اهل الكتاب من سكنة مكة ،كانت لديهم نبوءات من ظهور النبي الخاتم ومنهم السيدة خديجة (عليها السلام) ، فقد اخبرت السيدة أمنة بنت وهب ما رافق حملها من معجزات اثناء الحمل

والولادة والرؤى التي تراها وهواتف تخاطبها ، ولسيدة أمنه لد لأم هند وكلاهما من قريش ،ربطت سيدة نساء قريش من اخبار فداء والد النبي من الذبح ، وتعرض عبدالله الكاهنتين وطلبا منه بجرأة غير معهودة من نساء العرب الارتباط به مقابل مائة من الابل ، وكلتاهما مطلعتان على كتب اليهود والنصارى ، وليستا من أصحاب الريب ، الاولى أم قتال بنت نوفل ابنة عم خديجة (عليها السلام) [32]،وقيل كاهنة من خثعم متهوده تدعى فاطمة بنت مر[33]، فقد سمعت السيدة خديجة منها ما اطلعت عليه أم قتال من اخبار النبي الموعود ، وكذلك من ورقة بن نوفل الذي تنصر ولديه معرفة بالكتاب المقدس، فأخذت تترقب أخبار وأعاجيب محمد (ص) حتى أيقنت هو النبي المنتظر من ذرية إسماعيل (عليه السلام)[34].

كان الاحبار والرهبان اكثر الناس معرفة وعلماً برسول الله(ص) قبل مبعثه وزمانه ، لما وجدوا في كتبهم من صفاته وأسمه ،ويخبرون أن نبياً مبعوثاً بدين النبي إبراهيم (عليه السلام) يسمى أحمد ذكر في كتبهم وعهد أنبيائهم[35] ، قال تعالى : **(الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ)**[36].

أن أخبار النبي(ص) التي وصلت إلى خديجة ،والتي شهدتها متمثلة في سمو اخلاقه الفاضلة ومكانته المتميزة بين قومه ،فهو افضل قومه مروءة واحسنهم خلقاً وأعظمهم حلماً وأصدقهم حديثاً ، حتى لقبوه بالصادق الأمين، لما جمع فيه من الأمور الصالحة والخصال ، فوجد السيدة خديجة (عليها السلام) فيه الشخص المنشود للارتباط بهِ.[37]

يبدو أن السيدة خديجة كانت في موقف ترقب للنبي الهادي (ص) فقد طلبت من الرسول (ص) قبل الارتباط والزواج منها بعد أن حضر إلى بيتها أن يعطيها مكانتها التي تستحقها ، ومنزلتها ويعرف حقها جزاء لها ، لأيمانها وتصديقها المسبق للنبي ، وبعد أن عرضت عليه الزواج منها قالت : **"والله ما أفعل هذا لشيء ، ولكني أرجو أن تكون أنت النبي الذي ستبعث ،فإن تكن هو فأعرف حقي ، ومنزلتي ، وادع الإله الذي يبعثك لي 000"**[38]

الذي عرف عن المستشرقين عدم الاهتمام بالجانب الغيبي في سيرة الرسول محمد (ص) ، قبل ولادته المباركة سمعت الطاهرة بولادة النبي الخاتم عندما كانت بالقرب من بعض النسوة وهن عاكفات إلى احد الاصنام تشبه لهاً بصورة في هيئة رجل حتى قرب منهن ثم تكلم بأعلى صوته مخاطب نساء تيماء سيخرج في بلدكن نبي واسمه أحمد يدعو إلى عبادة الله فأيما امرأة استطاعت ان تكون حليلة له فلتفعل فقبحته النساء وأغلظن له ، أما خديجة فقد أغضت على قوله ولم تعرض كما هي النساء الاخر،[39]

أن ندم عمر بن أسد عم السيدة خديجة على تزويجها من نبي الله (ص) بسبب بعض الحساد من قومه لكونه فقير وقليل المال ، فعلمت خديجة بذلك فأرسلت اليه وقالت :" **ما زوجته أنت ، بل زوجه الله ، فهو ممن عرفت شرفه وكرمه وأمانته** " ، فكان ذلك على بصيرة بعد أن شاهدت مع نساء قريش كيف الغمام يغطيه منفرداً.[40]

كان زواج النبي (ص) من السيدة خديجة (عليها السلام) ، نوراً رباني أحاط الله به من أختاره لحمل الرسالة ،فلم تشك فيه مطلقاً ، ولم تلتفت عنه ، وأمنت به ،وشهدت له بما يزكيه لحمل أعظم الرسالات، فكان هذا الزواج تشريعاً إلهياً ، يبين للناس أن توفيق الله فوق تخطيط البشر ، ،ان الخير والصلاح مع توفيق الله ، بصرف النظر عن فارق السن ، وأن من يهيئ للرسالة كان له من العفاف ما شهد به خصومه قبل أصحابه

ـعمر السيدة خديجة عند الزواج من الرسول (ص)

تناول المستشرقون عمر السيدة خديجة عند الزواج، فقد ذكر عدد منهم أن عمرها كان أربعون سنة في حين كان عمر الرسول خمسة وعشرون سنة.[41]ومنهم من شكك في عمرها بأنه أقل من الاربعين فقد ذكر وات ذلك قال: **"ربما كان عمر خديجة فيه شيء من المبالغة ، وذكرت المصادر اسماء الأولاد**

السبعة الذين أنجبتهم من محمد (ص)ولو فرضنا أنهم ولدوا بمعدل ولد في كل سنة فتكون خديجة في الثامنة والاربعين من عمرها عند ولدة الأخير، وليس هذا مستحيلاً ولكنه غريب يثير التعليق "[42]،

أما المستشرق توماس كارليل يؤكد ان عمر السيدة خديجة كان على مشارف الاربعين ، في الوقت الذي كان الرسول(ص) في عمر الخامسة والعشرون سنة.[43]

ذكرت المصادر الاسلامية عمر الرسول (ص) عند الزواج من خديجة أنه كان في الخامسة والعشرون من عمره ، اما السيدة خديجة كانت في عمر الأربعين عاماً ، أوردها أبن سعد عن رواية محمد بن عمر بن واقد الأسلمي،[44]كما توجد روايات أخرى أن عمرها عند الزواج ثمانية وعشرون عاماً وثلاثون عاماً وخمسة وثلاثون عاماً [45]،

يرجع الاختلاف في تحديد عمر السيدة خديجة عند الزواج من الرسول (ص) لعدم ذكرة من قبل كتاب السير لمبكرين امثال ابن إسحاق ، فقد اقتصر على ذكر الزواج ولم يحدد العمر، وغيرها من الامور التي كانت موضع خلاف عن والتواريخ والاحداث خاصة في فترة قبل المبعث ، وندرة المصادر المدونة لتلك الاحداث .

توفيت السيدة خديجة قبل الهجرة بثلاث سنوات ولها من العمر خمسة وستون عاماً [46]، وعندما بلغت من العمر ستون عام ولدت السيدة فاطمة (عليها السلام) ، موافقة للسنة الخامسة من المبعث النبوي الشريف [47]،فقد علق المستشرق وات عندما ذكر ولادة ابناء السيدة خديجة(عليها السلام) ستكون في سن الثامنة والأربعون عند ولادة أخرهم وهو امر غريب يثير التعليق**(من الامور القابلة لأن تصبح فيما بعد معجزة)**.[48]

ويرى الباحث أن تعليق المستشرق وات وغيره من المستشرقين عن سن الولادة للسيدة خديجة لأبنائها ، غريب ويثير التعليق ،وهذا يتفق مع الرأي أن سن زواج السيدة خديجة هو سن الاربعين ، وأنها انجبت أبنائها من رسول الله (ص)بعد ذلك، لكي تتحقق المعجزة الخارقة لقانون الانجاب عند النساء في هذا السن ، وخاصة ولاده السيدة فاطمة وهي في سن الستين عاماً ، تزوجت الرسول (ص)وهي في سن الاربعين، وهو السن الذي بعث به رسول الله (ص) ،فكانت ثابتة الخطوات مكتملة العقل على معرفة من امرها ، فعرضها للزواج من الرسول (ص) دليل واضح على أنها امرأة موحدة قبل الاسلام ،وزوجة كفئ وهي السند والعون للنبي (ص) ، فحفظ مكانتها ومنزلتها لديه(ص) حتى بعد وفاتها .

وصفت العلاقة الزوجية بين الرسول محمد (ص) وسيدة نساء قريش (عليها السلام) علاقة في غاية الوفاق والألفة والصفاء ، وكان الرسول يخلص لها المودة والحب، فقد قضى عنفوان شبابهِ وصباه في تلك العيشة المطمئنة، مقتصراً على زوجة واحدة إلى حين وفاتها [49].

ما أنفك الرسول (ص) من ذكر خديجة حتى لقي ربه ، نتوهم من أن النبي شكر خديجة على ما صنعته من اجله ، فكان أيمانها به وتصديقه ، جميل يفوق جميع ما قدمته له ، فإنه ليس أقرب لنفس الانسان ، ولا أثلج لحشاه ،من أن يجد له شريكاً في اعتقاده مصدقاً ومؤمن به ولقد قال نوفاليس : " **ما رأيت شيئاً قط أكد ليقيني ، وأوثق لاعتقادي ، من أن انضمام إنسان آخر إلي في رأيي "**[50].

كانت منزلة السيدة خديجة (عليها السلام) عند رسول الله منزلة رفيعة ، فهي الزوجة الوحيدة التي قضا معها رسول الله (ص) الحياة الزوجية في وئام تام ، ويتضح ذلك من الأحاديث التي قيلت بحقها بعد وفاتها ، ومكانتها عند رسول الله (ص) التي يذكرها عند زوجاته حتى قالت السيدة عائشة: **"ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة من كثر ذكر رسول الله (ص) إياها"**[51]، وكان رسول الله (ص)يذكرها في كل وقت حتى غارت السيدة عائشة من ذلك فقالت: **"ما تذكر من عجوز من عجائز قريش حمراء الشدقين هلكت في الدهر قد أبدلك الله خيرا منها)** قال : (**فتعمر وجهه تعمراً ماكنت أراه إلا عند نزول**

الوحي000"[52]، وقال : **"والله ما أبدلني الله خيراً منها ، آمنت بي حين كذبني الناس وواستني بمالها حين حرمني الناس ورزقت الولد منها ، وحرمت من غيرها".**[53]

كما نالت السيدة خديجة (ص) سلاماً من الله تعالى ومن جبريل (عليه السلام) و بشرها ببيت في الجنة فقد ذكر الحديث الشريف عن أبي هريرة قال : **"أتى جبريل للنبي (ص) فقال : هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام ، أو طعام أو شراب ، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني ، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب "0**[54]

الخاتمة

1- كانت أراء المستشرقين تعبر عن حقد دفين ضد الإسلام من خلال تفسيراتهم إلى اسباب الزواج من السيدة خديجة، والتي كان فيها الكثير من التجني والتفسيرات الباطلة .
2- عرفت السيدة خديجة قبل الإسلام بالطاهرة وسيدة نساء قريش ،وهذه الصفات تسمى بها ابن بنتها هند من زوجها عتيق فقد اطلق عليه بني (الطاهرة)
3- كانت السيدة خديجة على معرفة بأخبار الرسول الخاتم ، لذلك سعت إلى الارتباط به ،وكانت الرعاية الإلهية دور في ذلك .
4- كان زواجها من الرسول في سن الأربعين دلالة على بلوغها سن النضج ، وللقيام بالدور الكبير الذي ينتظرها في رعاية الرسول وتعويضه عما فقدة في طفولته من حنان الأم ودور الزوجة الصالحة التي قدمة ثروتها في خدمة الإسلام .

قائمة المصادر والمراجع

[1] - ابن اسحاق ، محمد بن إسحاق بن يسار الطلبي المدني ت 151هـ، السيرة النبوية ، تحقيق احمد فريد الزبيدي ، دار الكتب العلمية ،ط1، بيروت – لبنان ،1424هـ -2004ه ص129 .ابن سعد ،محمد بن سعد بن منيع الزهري ، ت230 ، الطبقات الكبرى ، تحقيق علي محمد عمر، مكتبة الخانجي القاهرة ، ط1 ،1421هـ - 2001م ، ج10 ، ص15

[2]-ابن حبيب ، ابي جعفر محمد بن حبيب ابن امية بن عمرو الهاشمي البغدادي ،ت 245هـ ، المحبر، تحقيق إيليزة ليختن شتيتر ،دار الافاق الجديدة بيروت ، ص77. / الدولابي ، أبو بشير محمد بن احمد بن حماد بن سعيد بن مسلم الانصاري الرازي ، ت 310هـ ، الذرية الطاهرة النبوية ، تحقيق سعد المبارك الحسن ، الدار السلفية الكويت ، ط 1، 1407هـ ، ص24

[33] - أبو هالة واسمه هند ويقال مالك بن النباش فولدت له هندا وهالة وهما ذكران ثم خلف عليها بعده عتيق بن عائذ المخزومي فولدت له جارية اسمها هند وبعضهم قدم عتيقا على أبي هالة ثم خلف عليها

رسول الله .ينظر ابن الجوزي ، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن ت 597هـ ، تلقيح فهوم أهل الأثر في عيون التاريخ والسير ، دار الارقم بن أبي الأرقم – بيروت ، ط1 ، 1997م ، ج1، ص22

[4] -الدولابي، الذرية الطاهرة النبوية ، ، ص25 .أبي نعيم ، أحمد بن عبدالله بن احمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني ت 430هـ، معرفة الصحابة ، تحقيق عادل يوسف العزاوي ، دار الوطن – الرياض ، ط1، 1419هـ -1989م ،ج6، ص3200

[5] - ابن اسحاق ، السيرة النبوية ، ص 128 . ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج1 ، ص 109 .البيهقي ،أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسْرَوْجِردي الخراساني، أبو بكر ت 458هـ ،دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ، دار الكتب العلمية ، ط1 ، بيروت ، 1305هـ ،ج2 ، ص 72

[6] الطاهر : واسمه عبدالله ولقب بالطاهر والطيب لكونه ولد في الاسلام ينظر : ابن سعد ، الطبقات ، ج10 ، ص 17. اب حجر ، الاصابة في تميز الصحابة ، ج3 ، ص 445

[7] - ابن اسحاق ، محمد بن اسحاق المطلبي ت151هـ ، السير والمغازي، سهيل زكار ، دار الفكر، ط 1 ،1398هـ - 1978 م ، ص245 . ابن هشام ، أبي محمد عبد الملك ، ت183هـ ،سيرة النبي () ، تحقيق مجدي فتح السيد ، دار الصحابة للتراث ، طنطا ،ط1 ، 1416هـ -1995م ، المجلد 1، ص 144-245

[8] - ابن حبيب ، المحبر ، ص77-78، الطبري ،محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي ت310هـ ، تاريخ الطبري لعريب بن سعد القرطبي ت 369هـ، دار التراث ، بيروت ، ط 2 ، 1387هـ ، ج2 ، ص 280

[9] - البيهقي ، دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة ،المقدمة ، ص19

[10] -ابن إسحاق ، السير والمغازي ،243. ابن قتيبة ،ابو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ت276هـ، المعارف ، تحقيق ثروت عكاشة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ط2 ، القاهرة ، 1992م ، ص134

[11] - إيرفينج ، واشنطن ، محمد وخلفاؤه ، ص111

[12] - ول ديورَانت ويليام جيمس ديورَانت ، ت: 1981م، قصة الحضارة ، ترجمة زكي نجيب واخرين ، دار الجيل –لبنان ، 1408هـ - 1988م ،، ج13 ، ص 44

[13] - ول ديورَانت، قصة الحضارة ، ج13 ، ص22

[14] - وات ، محمد النبي ورجل الدولة ، ص 23

[15] - وات ، محمد في المدينة ، ص 438

[16] -هنري ماسيه :مستشرق فرنسي، ولود سنة 1886م ، مدير المعهد الفرنسي في القاهرة ، وقد عين أستاذاً في جامعة الجزائر عام 1916 ،وعضو في المجمع الكتابات والآداب ، وفي المجمع العلمي العربي بدمشق ،واختير منقبل اليونسكو في لجنة المستشرقين ، آثاره :ترجمة كتاب ديوان الرسائل لابن الصيرف 1930 ،وصنف كتاب بعنوان الاسلام ،وهو موجز ولكنه واضح في تبيان المذاهب ومؤسساتها القضائية وقام بالعديد من الترجمات والتحقيق . ينظر العقيقي ، المستشرقون ،ص 298-299

[17] - ماسيه ، هنري ، الإسلام ،ترجمة بهيج شعبان ،منشورات عويدات ، بيروت ، ط3 ، 1988م ، ص43

[18] -fr.Buhi ، موجز دائرة المعارف الإسلامية ، تر عبد الحميد يونس ، الناشر ، مركز الشارقة للأبداع الفكري ، ط1 ، 1418هـ -1998م ، ص4571

[19] -إيرفينج ، واشنطن ، محمد وخلفاؤه ، ص 108

[20] - جيورجيو ، كونستانس فيرجيل ،نظرة جديدة في سيرة الرسول ، ترجمة محمد التونجي ،الدار العربية للموسوعات ، ط1 ، 1983م ، بيروت – لبنان ، ص44

[21] - بُودلي .ر.ف، حياة محمد الرسول ، ترجمة محمد محمد فرج – عبد الحميد جودة النجار، النشر مكتبة مصر ،بد ط ، ت ، ص47

[22] - عبد الكريم ، خليل ، فترة التكوين في حياة الصادق الأمين ، دار مصر المحروسة ، ط2 ،القاهرة ،2004 ص36.

[23] - بًودلي، حياة محمد الرسول ، ص 49 – 50.
[24] - لايقدع : لا يرتدع ،وهذا فحل لا يقدع أي لا يضرب أنفه وذلك إذا كان كريماً ، يقال : قدعت الفحل وهو أن يكون غير كريم يمنع من ركوب الناقة الكريمة، ضرب أنفه بالرمح أو غيره حتى يرتدع وينكف . ينظر : ابن منظور ، لسان العرب ، ج8 ، ص 261.
[25] -الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ،ج2 ، ص 654. ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج2 ، ص 93.
[26] -الجبري ، عبد المتعال محمد ، السيرة النبوية وكيف حرفها المستشرقون ، ترجمة محمد عبد العظيم علي ، دار الدعوة ، ط1 ،الاسكندرية ، 1414هـ -1994م ، ص41
[27] **محمد بن صيفي** بن أمية بن عابد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم القرشي المخزومي ، وامه هند بنت عتيق بن عابد بن عبدالله بن عمر بن مخزوم وأمها السيدة خديجة بنت خويلد ينظر ابن الاثير ، أسد الغابة ج5 ، 92
[28] - الزبيري ،مصعب بن عبدالله مصعب بن ثابت بن عبدالله ، ت 236هـ،، نسب قريش ، تحقيق ليفي بروفنسل ،ط3، دار المعارف، القاهرة ، بدون سنة ./ البلاذري ، أحمد بن يحيى بن جابر بن داود ت 279هـ ،أنساب الأشراف ، تحقيق سهيل زكار و رياض الزركلي ، دار الفكر بيروت ، ط1 ، 1417هـ - 1996م ، ج10 ، ص 214. ابن عساكر ، أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله ، ت 571هـ ، تاريخ دمشق ، تحقيق عمرو بن غرامة العمري ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، 1415هـ - 1995م ، بدون مكان و ط ، ج3 ،ص 131
[29]- ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج63 ، ص 19
[30] - ابن سعد ، الطبقات الكبرى ،ج10 ، ص 19 . الطبراني ، سليمان بن احمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي ت 360، المعجم الكبير ، تحقيق حمد بن عبد المجيد السلفي ، مكتبة بن تيمية – القاهرة ، ط 2 ، 1415هـ - 1994م ، ج22، ص 452./ الحاكم النيسابوري ،أبو عبدالله الحاكم محمد بن عبدالله بن حمد ويه بن نعيم بن الحكم الضبي ، ت 405هـ ، المستدرك على الصحيحين ، تحقيق ، مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية –بيروت ، ط1 ، 1411هأ -1990م ،ج3 ، 201
[31] - بنت الشاطئ ، عائشة عبد الرحمن ، مع المصطفى () ، دار المعارف ، ط ، جديدة ، القاهرة ، بدون سنة ، ص17-18
[32] -الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج2 ، 243 .ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ،ط1 ، العلمية ، ج2 ، ص200 . ابن كثير ، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي ، ت774هـ ،السيرة النبوية (من البداية والنهاية ، تحقيق مصطفى عبد الواحد ، دار المعرفة ، بيروت لبنان ، 1395هـ - 1976م ، ج1 ، ص 176
[33] - فاطمة بنت مر كاهنة متهودة من بني خثعم ، من أهل تبالة شاهدت عبدالله بن عد المطلب برفقة والدة في طرقه للزواج من السيدة امنه بنت وهب ، فرأت في وجهه نوراً فطلبت منه ان يتزوجها ، وبعد زواجه من امنة أعرضت عنه فقالت: يا فتى ما أنا بصاحبة ريبة، ولكني رأيت في وجهك نورا يكون لي، فأبى الله إلا أن يجعله حيث أراد، ابن الأثير ، الكامل في التاريخ ، ج1 ، ص611
[34] -عبد الكريم ، خليل ، فترة التكوين في حياة الصادق الأمين ، دار مصر المحروسة ، ط2 ،القاهرة ، 2004، ص 34
[35] - ابن إسحاق ، السيرة النبوية ، ص130
[36] - سورة الأعراف ، آية 157
[37] -المباركفوري ، صفي الرحمن، ت 1427م ، الرحيق المختوم ، دار الهلال – ط 1 ، بيروت ، ص 54
[38] - الفاكهي ،أبي عبدالله محمد بن إسحاق ابن العباس المكي ، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه ، تحقيق عبد الملك بن عبد الله بن دهيش ،دار خضر ، ط2 ، بيروت – لبنان ، 1414هـ - 1994م ، ج5 ، ص 206 . بن حجر ، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي ت، 852هـ ، فتح الباري شرح صحيح البخاري ، محب الدين الخطيب ، دار المعرفة ، بيروت ، 1379م ، ج7 ، 134

[39] - ابن سعد ، الطبقات الكبرى ،ج10 ص16 . ابن حجر ، الإصابة في تميز الصحابة ، ج8 ، ص 100. ابن القيم ،محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين الجوزي ، ت751، هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ،تحقيق محمد احمد الحاج ، دار القلم –دار الشامية ، السعودية ، ط1 ، 1416هـ - 1996م ، ج2 ، ص 399، اورد نص (**أن رجلا من أهل الشام من النصارى قدم مكة، فأتى على نسوة قد اجتمعت في يوم عيد من أعيادهم، وقد غاب أزواجهن في بعض أمورهم، فقال: يا نساء تيماء إنه سيكون فيكم نبي يقال له أحمد، وأيما امرأة منكن استطاعت أن تكون له فراشا فلتفعل، فحفظت خديجة حديثه.**)

[40] - الخصيبي ،أبي عبدالله الحسين بن حمدان ، ت358هـ ،الهداية الكبرى ،تحقيق . مصطفى صبحي الخضر الحمصي ، شركة الاعلمي ، بيروت – لبنان ، ص 82

[41]- ديورانت ، قصة الحضارة ، ج13 ، ص22 ، وات ، محمد في مكة ، ص73. درمنغم ، الشخصية المحمدية ، ص62. بودلي ، حياة محمد الرسول ، ص49.

[42] - وات ، محمد في مكة ،ص73

[43] -كارليل ، توماس : (1795-1881)م ، ولد في بإقليم أفاندال في اسكتلندا دخل جامعة ادنبرج ف الثالثة عشر من عمره ثم اصبح مدرس للرياضة في مدرسة (انان) ، تعلم اللغة الالمانية وقام بترجمات علمية من الفرنسية عاش ستة وثمانون عام قضاها في التأليف والفلسفة والتاريخ ، اشهر مؤلفاته كتاب (الأبطال) وكتاب (الثورة الفرنسية) وكتاب (الماضي والحاضر)وغيرها ،ينظر كارليل، الأبطال ، ترجمة محمد السباعي ،المطبعة المصرية بالأزهر ، ط 3 ، 1349هـ -1930م ،ص 69

[44] -ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج1 ، ص109 . ابن حبيب ، المحبر ، ،ص79. البلاذري ، أنساب الأشراف ، ج1 ، 98. الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج 2 ،ص 280. الأصفهاني ، عماد الدين أبو أحامد محمد بن محمد ت 597هـ ، البستان الجامع لجميع تواريخ أهل الزمان ،تحقيق عمر عبد السلام تدمري ،ط 1 ، المكتبة العصرية ، بيروت – لبنان ،1423هأ -2002، 86

[45] -الدولابي ، الذرية الطاهرة ، ص29. ابن عساكر ، تاريخ دمشق ، ج3 ، 191. ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج2 ، 360

[46] - ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج10 ،19. الطبري ، تاريخ الرسل والملوك ، ج11 ، ص 493 .ابن الجوزي ، المنتظم في تاريخ الأمم والملوك ، ج3 ، ص19

[47] -الكليني ، محمد بن يعقوب ، ت 329هـ ،اصول الكافي ، تحقيق محمد جعفر شمس الدين ، دار التعارف ، بيروت –لبنان، 1411هـ - 1990م،ج1 ، ص 530. الخصيبي ، الهداية الكبرى ،212، . ابن رستم الطبري، ابي جعفر محمد بن جرير ، ت358هـ، دلائل الامامة ، المطبعة الحيدرية ، النجف ، 1369هـ - 1949م، ص10

[48] - وات ، محمد في مكة ،ص 73

[49] -كارليل ، الأبطال ، ص 69

[50] -كارليل ، توماس، ت1871م ، محمد المثل الأعلى، ترجمة محمد السباعي ، دار طيبة –الجيزة ، ط1 ، 2008 ، ص81

[51] -البخاري ، صحيح البخاري ، دار التأصيل ، ط1 ، 1433هـ - 2012م ، القاهرة ، ج5 ، ص 95

[52] - البخاري ، صحيح البخاري، دار التأصيل ، ج5 ، ص 97 .الحاكم ، المستدرك على الصحيحين ،ج 4 ، ص 318 . البيهقي ، السنن الكبرى ، ج7 ، 501

[53] -السهيلي ، الروض الأنف ،ج2 ، 275 .ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج2 ، ص 135

[54] - البخاري ، صحيح البخاري ، دار التأصيل ، ج5 ، ص 97